شبكة الطريق إلى الله

طريقك نحو معرفة الله

Way2allah.com

اسم المادة: الرؤوف - الصمد - الشهيد - الغني

من سلسلة: الحُسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: الرؤوف - الصمد - الشهيد - الغني
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

الرؤوف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

في الحديث الصحيح: أنه قدِم على النبي –صلى الله عليه وسلم–سبيٌ، فإذا امرأة من السبي جاءت تسعى، إذ وجدت صبيًا بين السبي، فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، كان مشهدًا ملفتًا للأنظار، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– مُوظفًا هذا المشهد في درس إيماني نريد أن نعيشه كما عاشه الصحابة –رضي الله عنهم– معه –صلى الله عليه وسلم– في هذا الموقف، فعيشوه بمشاعركم، قال: "أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ فقال الصحابة: لا والله يا رسول الله، وهي تقدر ألا تطرَحه، فقال –صلوات الله وسلامه عليه–: لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها[1].

ما أعظم الله وهو القائل –سبحانه–: "وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءوفٌ رَحيمٌ" النور: ٢٠.

في غزوة تبوك جاء قول الله –سبحانه وتعالى– كما في سورة التوبة: "لَقَد تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهاجِرينَ وَالأَنصارِ الَّذينَ اتَّبَعوهُ في ساعَةِ العُسرَةِ مِن بَعدِ ما كادَ يَزيغُ قُلوبُ فَريقٍ مِنهُم ثُمَّ تابَ عَلَيهِم إِنَّهُ بِهِم رَءوفٌ رَحيمٌ" التوبة: ١١٧، وهكذا في نحو عشر آيات من القرآن الكريم سمى الله نفسه –سبحانه وتعالى– بالرؤوف، ويقترن دومًا باسم الرحيم.

الرؤوف صيغة مبالغة على وزن فعول من الرأفة.

الرأفة: هي الرحمة وزيادة؛ هي أخص منها، هي أرق منها، هي رحمة في كمالها واختصاصها واشتدادها، فكل رأفةٍ رحمة وزيادة، وكل رؤوفٍ رحيمٌ ولابد وليس العكس، فما كل رحمةٍ تكون رأفة، ولا كل رحيمٍ يكون رؤوفا، من هنا يأتي اسم الرؤوف مع الرحيم مقترنان في كتاب الله الكريم.

والله –سبحانه وتعالى–سمى نفسه الرؤوف، وقد قال الإمام الطبري –رحمه الله–:"أي: أن الله ذو رأفةٍ بجميع عباده" قال: "والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع عباده في الدنيا ولبعضهم في الآخرة" وصدق –رحمه الله–.

---

[1] روايات الحديث هنا

فإن الله –عز وجل–لرأفته؛ رحم عباده وخصّهم بهذه التكاليف، ولرحمته؛ دعاهم إلى توحيده وعبادته، وكتب لهم لرأفته –سبحانه–؛ جنة عرضها السماوات والأرض. لرأفته؛ فتح لهم باب التوبة، وعفا عنهم، وتجاوز عن مُسيئهم، وكفّر عن سيئاتهم. لرأفته؛ جعل للحسنات بابًا تُضاعَف فيه الأجور، وللمحسنين أبوابًا تتعدد منها إلى الجنان مداخلهم.

الله –عز وجل–رؤوف رحيم، والمعوَّل على هذه الرأفة والرحمة، وهو القائل –سبحانه–: "وَلَولا فَضلُ اللَّهِ عَلَيكُم وَرَحمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءوفٌ رَحيمٌ". الله ربنا الرؤوف –سبحانه وتعالى– شَرَع لعباده من العبادات والتكاليف ما هو في حدود طاقتهم، ومن رأفته لم يحملهم ما لا يطيقون، وفي خواتيم سورة البقرة "رَبَّنا لا تُؤاخِذنا إِن نَسينا أَو أَخطَأنا" قال الله: قد فعلت، "رَبَّنا وَلا تَحمِل عَلَينا إِصرًا كَما حَمَلتَهُ عَلَى الَّذينَ مِن قَبلِنا" قال الله: قد فعلت، "رَبَّنا وَلا تُحَمِّلنا ما لا طاقَةَ لَنا بِهِ" البقرة: ٢٨٦، قال الله: قد فعلت، كما في صحيح الإمام مسلم.

إن ربنا الرؤوف –سبحانه وتعالى– من رأفته بنا أمة الإسلام في تشريع الأحكام؛ أن خفف عن المريض والمسافر والعاجز والمعذور، الواجبات تسقط بالعجز ولا يكلف اللَّه نفسًا إلا وُسعها، وجعل من الرُخَص في أحكام الشريعة ما يخفف عنه العنت، ويزول عنه التكليف بالمشقة، ويجد العباد سعةً وفسحةً في امتثالهم أمر ربهم والوقوف عند حدوده.

لأن ربنا رؤوف –سبحانه وتعالى–؛ فرأفته تنالنا ونحن نعبده –جل جلاله–، رأفته تغشانا ونحن نتقرب إليه، بل رأفته تدركنا ونحن ربما كنا على أعتاب المعاصي، وعلى خطى الخطايا نقترف الذنوب ونجترح السيئات، نعود إليه ونستغفره ونتوب إليه ونؤوب، ونتلمس أبواب الرضا، ونطرق أبواب المغفرة، ونحن نعلم أن الله –جل جلاله– لعظيم رأفته ورحمته يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل.

الله ربنا رؤوفٌ رحيم، صفةٌ تبعث في النفوس المؤمنة حبها لله وشوقها وعظيم تعلقها بكرم الله، إي والله، يستوي في ذلك الطائعون والعصاة على حدٍ سواء، الكل يجد في صفة الرأفة حنانًا ودفئًا ورحمةً تغشاه فيقترب من ربه أكثر وأكثر.

الرؤوف ربنا –سبحانه وتعالى– يتمنن على عباده، وهو –جل جلاله– يجعل من اسمه العظيم هذا الرؤوف بابًا يدخل منه العباد، يقبلون على ربهم، يستمطرون من رأفته، ويلتحفون من عطاياه؛ ما يجعلهم على طريق العبودية أكثر صدقًا في استمساكهم بشرعه وثباتهم على طريق العبودية لله رب العالمين.

أمَا إن الله رؤوف! لكنّ رأفته ليست تحمل العبد أبَدًا على جرأةٍ وقحةٍ يكسر بها باب الأدب مع الله معوّنًا على رأفته، أمَا إن الذنب ذنب، والمعصية معصية، والخطأ خطأ، ونحن إنما نُعوّل على رحمة اللَّه، ونسير إليه نطلب من رأفته، لكن الذنب حَرِيٌ به أن يجعلنا واقفين عند حدوده، لا أن يجترح المذنب ذنبه، وأن يقترف خطيئته متجرئًا معولًا على رأفةٍ دون ما تَطرّقٍ إلى أبواب المغفرة، هي موازنة يا كرام، فإن الله قد قال: "نَبِّئ عِبادي أَنّي أَنَا الغَفورُ الرَّحيمُ * وَأَنَّ عَذابي هُوَ العَذابُ الأَليمُ" الحجر: ٤٩:٥٠.

فلطفك ربنا ورحمتك، ورأفتك هي أوسع لنا، وعافيتك هي أحب إلى قلوبنا، وامنن علينا بسترٍ جميلٍ وتوبة صادقة نصوح يا أكرم الأكرمين.

الصمد

أهلا ومرحباً بكم أيها الكرام.

في الصحيحين أحاديث بألفاظ متقاربة وروايات متعددة، تحكي أن النبي –عليه الصلاة والسلام– بعث رجلًا على سريةٍ، فكان يقرأ لأصحابه فيختم بـ "قل هو الله أحد"، يعني لا يصلي صلاةً إلا قرأ فيها سورة "قل هو الله أحد"، فأخبروا النبي –عليه الصلاة والسلام– بصنيعه ذلك، فقال –صلى الله عليه وسلم– سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك، فقال الرجل لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– أخبروه أن الله يحبه.

وفي بعض الأحاديث قال –صلى الله عليه وسلم–: "حبُّكَ إياها أدخلكَ الجنةَ"[٢].

لقد وعى الرجل تمامًا معنى هذا الاسم العظيم الصمد وأحبه، فتعلق قلبه به فقاده إلى بابٍ إلى الجنة وحب الله –عز وجل– له، لأنه عاش هذا المعنى الكريم لاسم الله العظيم الصمد.

"قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" الإخلاص١:٤

مع أن اسم الله سبحانه وتعالى الصمد لم يرد الا مرةً واحدةً في القرآن الكريم في سورة الإخلاص "قل هو الله أحد"، لكن حسبكم أنها السورة التي تعدل ثلث القرآن. يقول –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه: "أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ في لَيْلَةٍ؟ فَشَقَّ ذلكَ عليهم وقالوا: أيُّنا يُطِيقُ ذلكَ يا رَسولَ اللَّهِ؟ فقالَ: اللَّهُ الواحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ القُرْآنِ"[٣]. يقصد سورة الإخلاص –صلوات الله وسلامه عليه–.

وفي الحديث القدسي يقول الله –تبارك وتعالى–: "كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إيَّاي فإن يقول إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إيَّاي بأن يقول إن له صاحبةً ولا ولدا، وأنا الله الواحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن له كُفُوا أحد"[٤].

الصمد اسمٌ عظيم يحمل جملةً من المعاني التي تنضوي تحت هذا الاسم العظيم الكريم الصمد.

فالصمد السيد الذي كمل سؤدده، والعظيم الذي كملت عظمته، والذي اجتمع له كمال الشرف، والحليم الذي كمل حلمه، والعليم الذي كمل علمه، فهو صفةٌ لا تنبغي إلا لله وحده، ليس كمثله شيء، ولم يكن له كفؤ، وهو –سبحانه وتعالى– الواحد الأحد، سبحانه هو الله الواحد القهار.

الصمد في معانيها السؤدد والتفرد بهذا المعنى حتى يبلغ صاحب هذه الصفة وهو ربنا الجليل الكريم –سبحانه– أن يكون مقصدًا أوحد تصمد إليه الخلائق أي تقصده في حاجاتها، عجماواتها وأحياؤها وجمادتها، كلها تجأر إلى الله –جل جلاله–، فتطلبه في حاجاتها، وتقصده في مطالبها لأنه الله الصمد –سبحانه وتعالى–.

هذه المعاني التي نجدها مبثوثةً في كتب التفسير، منقولة على ألسنة علماء الأمة من الصحابة والتابعين، إنما تحاول لملمة شتاتٍ واسعٍ من المعاني الذي يتناثر في طيات هذا الاسم الكريم الصمد، فإنه السيد المقصود الذي تقضى على يديه حوائج الخلق، المتفرد بهذا المعنى مع كمال الشرف والعظمة هذا المعنى لن يكون إلا لله –سبحانه وتعالى–.

---

[٢] حسنه الألباني

[٣] صحيح البخاري

[٤] روايات الحديث هنا

فهو الصمد الذي يراد أن تتجه إليه القلوب امتلاءً بتعظيمٍ لربٍّ سمى نفسه الصمد –جل في علاه–.

دخل النبي –صلى الله عليه وسلم– المسجد فإذا برجلٍ قد قضى صلاته وهو في التشهد يقول: "اللَّهمَّ إنِّي أسألُكَ يا اللَّهُ الأحدُ الصَّمدُ الَّذي لم يلِد ولم يولَد ولم يكن لهُ كُفوًا أحدٌ أن تغفرَ لي ذنوبي إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرَّحيمُ قالَ فقالَ قد غفرَ لهُ قد غفرَ له ثلاثًا"[٥]. لقد استشعر هذا الصحابي معنى اسم الصمد لله، فتوجه إليه قاصدًا طالبًا متوسلًا بهذا الاسم العظيم فنال مطلوبه.

أين نحن أمة الإسلام عن هذا الاسم الكريم الذي يسند النفوس العاجزة في طريقها، في مسيرها، في رحلتها الطويلة، تعترينا المصاعب، تعترضون المشاق، وتحوط بنا الأهوال، لكنها ستتبدد وتزول وتتلاشى، عندما تركن إلى ربٍّ صمد –سبحانه–، تصمد إليه الخلائق فتتجه إليه.
أما إننا لو وجدنا من حولنا إنسانا موصوفًا بالعظمة، بالخير والعطاء، بالقدرة والتمكين، بمد يد السخاء وألفينا حوله المحاويج قد أتوه من كل جانبٍ يطرقون بابه يمدون أيديهم، سيقوم عندنا في النفس شعورٌ أن مثله ينبغي أن تحط عنده الرحال، وأن تنزل به الحوائج، هذا وهو بشر، لكن البشرية تبحث عمن يسندها، في متاعبها في الحياة، والله –جل جلاله– الصمد الذي تصمد إليه الخلائق وتلجأ إليه وتتضرع، فتجد حاجتها، وتكمل نقصها، وترتوي من شحها وحاجتها من ربٍّ عظيمٍ سيدٍ كريم سمى نفسه بالصمد –سبحانه وتعالى–.

أمام بابك كل الخلق قد وقفوا وهم ينادون يا فتاح يا صمدُ
فأنت وحدك تعطي إلينا، ولا ترد عن بابك المقصود من قصدوا
والخير عندك مبذولٌ لطالبه حتى لمن كفروا، حتى لمن جحدوا
يا ربي إن أنت لم ترحم ضراعتهم فليس يرحمهم من بينهم أحدُ

[٥] سنن أبي داود

الشهيد

أهلًا بكم أيها الكرام في رحاب اسم متجدد من أسماء الله الحسنى

في معركة نهاوند، وهي إحدى معارك الإسلام الفاصلة، وغزواته التي سطرت مجدًا وعزًا ومفخرة وأثرًا، معركة نهاوند وقع فيها قتال شديد ظفرت به أمة الإسلام بالنصر، وذلك في خلافة الفاروق عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، أتاه الرسول مبشرًا بالفتح والنصر، ويحمل معه أيضًا خبرًا بمقتلة خلقٍ كثيرٍ من جيش الإسلام وجنده، فجعل يسمي لعمر أسماء بعض الشهداء، فقال: اذكرهم، فجعل يقول: فلان وفلان، وعمر –رضي الله عنه– ما عرفهم، فقال: اذكر بعضهم، فما زال يعدد وعمر –رضي الله عنه– لم يتعرف على أسمائهم، ثم بكى عمر وانصرف وهو يقول: "وما يضرهم إذا كنت لا أعرفهم، والله –عز وجل– يعرفهم"؟!

صدق عمر، وصدق الله –عز وجل– وهو يقول: "وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا" النساء:٧٩

هي مقولة عيسى –عليه السلام– لمّا سأله ربه: "أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المائدة١١٦:١١٧.

"يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المجادلة:٦.

اسم الله –سبحانه وتعالى– الشهيد يأتي في جملة الأسماء التي تحمل معنى العِلْم لله –سبحانه وتعالى–، مع جملة من الدقائق الخفية في تفصيل كل اسم منها عن الآخر:

قال أهل العلم: إذا أريد به العلم المطلق، كان اسم العليم –سبحانه–.

وإذا أريد به العلم بالأمور الباطنة وخفاياها، كان اسم الخبير –سبحانه–.

وإذا أريد به إضافة العلم إلى الأمور الظاهرة والمشاهدة، كان اسم الشهيد– جل في علاه–

وقع اسم الشهيد لله –سبحانه وتعالى– في كتاب الله الكريم في ثمانية عشر موضعًا:

"وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" البروج:٩، "وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" سبأ:٤٧، "وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا" النساء:٧٩.

في آيات؛ في سياقات متعددة تحمل معنى العِلم لله –سبحانه وتعالى–، فيشهد لعباده، ويشهد عليهم –سبحانه جل في علاه–.

اسم الله الشهيد: الذي جاء في الحديث الصحيح كما أخرج البخاري ومسلم أن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: "سيُجاء يوم القيامة برجالٍ من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال –عياذًا بالله– فيقوم النبي –عليه الصلاة والسلام– شافعًا مدافعًا منافحًا، فيقول: يا رب أمتي، فيقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، يقول: فأقول مقولة العبد الصالح: "وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المائدة:١١٧.

إنه تفويض الأمر لله –سبحانه– في مثل هذا المقام الذي علم ما لم يعلمه نبينا –صلوات الله وسلامه عليه– بعد وفاته.

اسم الشهيد لله: يحمل معنى علم الله –جل جلاله– الذي لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء مثقال الذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين، علم أحاط بكل شيء، فيعلم –سبحانه– دقيق الأمور وخفيها، وجليلها وظاهرها، المشاهد منها والغائب، ما أدركته الحواس وما غاب عنها، لأنه –سبحانه وتعالى– شهيد.

ويأتي اسم الشهيد كذلك في: مقام إثبات الحجة على العباد، "لَّٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ –قال الله– وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا" النساء:١٦٦، يشهد الناس يوم القيامة لأنبيائهم، تشهد الأمم وتأتي أمة الإسلام شاهدة مقبولة شهادتها "وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" البقرة:١٤٣، تشهد الأمة ويشهد الله –عز وجل– لها، ويشهد النبي –عليه الصلاة والسلام– فهو شاهد ومبشر ونذير، كما أخبر الله.

أيا أمة الإسلام: اسم الشهيد يبعث في النفس معنىً يحملها على اليقظة، على حضور القلب، على استشعار علم الله واطلاعه وإحاطته، فيلتزم العبد مسار الاستقامة خائفًا من الزلل، محاذرًا من الخلل، يأخذ نفسه بالتدارك والتصويب ما أمكن، فإن العمر قصير، والحياة مآلها إلى لقاء لربٍ عظيمٍ شهيدٍ –سبحانه وتعالى–.

ربنا –سبحانه وتعالى– شهيد، "هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ" الحشر:٢٢، ولأنه –جل في علاه– شهيدٌ على عباده؛ فهو يعلم دقائق الأمور مهما خفيت على كثير من الخلق، أرأيتم إلى الشاهد يشهد حادثة فيؤدي شهادته عند قاضٍ في المحكمة؟ إنما شهد بناء على علم، وأخوة يوسف –عليه السلام– قالوا: "وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ" يوسف:٨١، هكذا هي شهادة المخلوق البشر مقصورة على مشاهدةٍ، فإذا غابت عنه الحادثة انقطعت شهادته، ولأن ربنا عليمٌ خبيرٌ محيطٌ رقيبٌ فشهادته –سبحانه وتعالى– على كل شيء.

تأملوا إلى هذا التوجيه الإلهي الكريم الذي يبعث النفوس على استشعار هذا المعنى العظيم، والله –عز وجل– يقول: "يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" المجادلة:٦، يأتي هذا الاسم لإيقاظ هذا المعنى إن كنا سننسى كثيرًا ونغفل ونزل، فلعل استشعارنا لمعنى اسم الله الشهيد –سبحانه وتعالى– يذكرنا من جديد ويوقظ فينا معاني الاستشعار لشهادة الله، ولا تنسوها فإن الله يقول: "أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ"

ذات الأمر حصل في قصة أصحاب الأخدود، فإن الله أخبر عما نالهم من كربٍ وما حل بهم من مأساة، قال الله –سبحانه وتعالى–: "وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ –قال– وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" البروج٨:٩.

جاء الاسم لإثبات أنه ما غاب عن علمه –سبحانه وتعالى– ذلك الموقف الذي نال فيه عباده من أهل الإيمان كرب ومحنة وبلاء. ولأنه شهيد –سبحانه– جاء الحكم العدل: "إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ" الإنشقاق١٠:١١.

أمة الإسلام: ربنا –سبحانه وتعالى– شهيد، كم ستستقيم الحياة وتصفو؟! كم ستهدأ النفوس وهي تشعر قرب ربها الشهيد –سبحانه–؟! كم ستحذر وتتيقظ في مواطن الغفلة والزلل وعند خطرات الشيطان ووساوسه ولا يردها عن مزلة الأقدام إلا استشعار شهادة الله –سبحانه وتعالى–؟! يتقوى الإيمان، تثبت الأقدام، تحلق النفوس إيمانًا، تقترب من ربها أكثر، تحبه أكثر، ترجو أمانه ورحمته وعفوه بصورة أعظم لأن الله –سبحانه وتعالى– شهيد.

هو هذا المعنى الكريم الذي جاء في ثنايا اسم الله –سبحانه وتعالى– الشهيد، لنعيش قلوبًا يقظةً ممتلئةً تعظيمًا لربنا –سبحانه وتعالى–.

الغني

أسعد الله أوقاتنا وأوقاتكم بطاعته ورضوانه

دخل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الكعبة يومًا، فإذا هو بالتابعي الجليل الإمام العلَم الفقيه سالم ابن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما–، وقد كان علمًا وجيهًا لا تخطئه العين ولا يجهله أحد، فتودد إليه الخليفة هشام في الكعبة، فقال له: سلني حاجتك يا سالم. فالتفت إليه سالم وقال: إني لأستحي أن أسأل الله في بيته غيره –سبحانه–. فلما خرجا من الكعبة، استقبله هشام، فقال: الآن سلني حاجتك. كأنه يقول له: قد خرجنا من جوف الكعبة. فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال له الخليفة هشام: من حوائج الدنيا. فقال له سالم –رحمة الله عليه–: أما الدنيا، فما سألتها الذي يملكها، فكيف أسألها من غيره؟

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ" فاطر:١٥-١٧

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"

في ثمانية عشرة مرة جاء اسم الغني –سبحانه وتعالى– في القرآن الكريم، في مثل قوله: "وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ" الأنعام:١٣٣

ربنا الغني –سبحانه– المستغني، وكل الخلق مفتقر إليه. قال الزجَّاج –رحمه الله–: الله هو الغني المستغني عن الخلق بقدرته وعز سلطانه، والخلق فقراء إلى تطوله وإحسانه. ذلكم هو الله الغني –جل جلاله–، الذي بيده خزائن السماوات والأرض، الغني الذي له ملك الدنيا والآخرة، الغني المغني عباده من الفقر، الغني –سبحانه– الذي يعطي عطاءً بلا حدٍ ولا انتهاء، الغني الذي لو أعطى عباده أولهم وآخرهم وإنسهم وجنهم وأعطى كل واحد منهم مسألته، ما نقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخل البحر.

الله هو الغني –جل جلاله–، غناه دائم، غناه مطلق، غناه ذاتي –سبحانه وتعالى–، فلا غنى مطلق ولا دائم ولا ذاتي إلا غنى الله –جل جلاله– مطلق؛ لأنه لا يُقيد –سبحانه– لا بزمان ولا مكان ولا قدر. غنى ذاتي؛ فغناه له –جل جلاله– لا يتوقف على غيره. غنى دائم؛ فليس ينتهي. لكن غنى الأغنياء من البشر، إنما هو نسبي، فبعضهم غني بالنسبة إلى مَن هو أفقر منه، وإن كان فقيرًا في الحقيقة. غنى البشر –وإن كانوا أغنياء– فهو غنى مؤقت، ليس مطلقًا ولا دائمًا، ثم هو قد يزول وقد يتغير لأي سبب. الغني على الحقيقة هو الله.

ولمّا نُدبنا في القرآن الكريم إلى الإنفاق والصدقة، جاءت هذه الآية الكريمة التي تصحح المفاهيم وتهز النفوس "هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ" محمد:٣٨، "إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ" الزمر:٧

هذا طرف من معاني غنى ربنا الغني –سبحانه وتعالى–، استغناؤه عن: خلقه، عن عبادتهم، عن طاعاتهم. إي والله، ما أمرنا الله –جل جلاله– بعبادته وطاعته إلا لحاجتنا نحن وفقرنا، وأما هو فغني –تبارك في علاه–.

ربنا الغني –جل جلاله– يُكسب عباده من الغنى ما تسعد به حياتهم، وتقر به نفوسهم. هذان ركنان عظيمان، يقوم عليهما قائم العبودية الحق في قلوب العباد، اعترافها بالغنى المطلق لله –جل جلاله– وبالفقر المطلق للعباد وحاجتهم، وقد اجتمع الأمران في قوله –سبحانه– والنداء لي ولك ولكل البشرية: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ" فاطر:١٥

تأملوها مرة أخرى أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ كلكم أيها الناس، أغنياؤكم وفقراؤكم، أثرياؤكم وأباطرتكم، ملوككم وعظماؤكم، الكل دخل في هذا الوصف أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ.

تدري لِمَ؟ لأن الغنى الحقيقي هو الذي قال الله فيه: "وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ".

فبماذا نصف إذًا غنى الأغنياء وثراء الأثرياء؟

هو الغنى العرضي المؤقت، "ليس الغِنَى عن كثرةِ العَرَضِ إنما الغِنَى غِنَى النَّفْسِ"[٦] كما قال –عليه الصلاة والسلام–.

غنى النفس: قناعتها، إيمانها، ثقتها، يقينها، اكتفاؤها بما قُسم لها. هذا هو الغنى الحقيقي.

أيها الكرام: لنا رب غني –سبحانه وتعالى–، غني عن عبادتنا وعن الخلق أجمعين، غني مستغنٍ عن خلقه بقوته وقدرته وعز سلطانه –سبحانه وتعالى–. ولأنه غني، فإنما يلجأ الفقراء إليه، يطلبون رحمته ورضاه، يلتزمون طاعته ويسألون هداه. لأن ربنا غني، فإنما يُطلب المال –إذا احتاج إليه العبد والنعمة الصحة وسائر أنواع النعم– إنما تُطلب من الله الغني "وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ" النساء:٣٢، كما قال الله –عز وجل–.

وفي دعوات الحبيب المصطفى –صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ وَالْغِنَى"[٧] ليس غنى المال بالضرورة فقط.

غنى المال: المكسب الحلال، غنى البدن: صحته وعافيته، غنى العقل: رجاحته ونوره، غنى القلب: قناعته. وهكذا. غنى كل شيء بحسبه، والله الغني مالك ذلك كله، وإنما يُسأل الله –عز وجل– من فضله.

اللهم يا غني يا كريم، فأغننا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك

---

[٦] أخرجه البخاري ومسلم

[٧] صحيح مسلم